مَرْوِيّاتُ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ فِي تَفْسِيرِ الكَشّافِ

أ.م.د. عصام كاظم الغالبيّ
جامعة الكوفة – كلية التربية الأساسية

فحوى البحث

سعيد بن جبير الأسدي بالولاء، الكوفي، ابو عبد الله، كان أعلم الناس بالقرآن الكريم. أخذ العلم عن عبد الله بن عباس. كان مع الثائرين على عبد الملك بن مروان في جيش عبد الرحمن بن الأشعث سنة ٨١ هـ قتله الحجاج الثقفي، بعد أن حاوره في أمور، في واسط (العراق) سنة ٩٥ هـ وقبره معروف يزار في مدينة (الحي) قرب الكوت. قال عنه الامام أحمد بن حنبل: قتل الحجاج سعيداً وما على وجه الارض أحد الا وهو مفتقر الى علمه.

قام السيد الباحث بتجريد مروياته وقراءاته في كتاب (الكشاف) وهو تفسير جار الله الزمخشري. وقد قدم لذلك بمقدمة عرض فيها ما رواه عنه جمع من المفسرين، من القدامى والمحدثين.

المقدّمة:

يُعَدُّ سعيدُ بن جبير أبو عبد الله الأسديّ الكوفيّ أحدَ الأئمّة الأعلام بل هو من أفاضل علماء التابعين في القرن الأول الهجريّ، وهو حلقة الوصل بين الصحابة والعلماء من بعده، وقد عُرف قارئا ومفسرا وفقيها ومحدّثا فضلا عن كونه تقيّا ورعًا، وهو من الشخصيات المقبولة لدى الفريقين، وقد روى وحدّث عنه كثيرٌ من المحدّثين وقرأ عليه القرآنَ كثيرٌ من القرّاء، ولا يكاد يخلو كتابٌ من كتب الحديث أو الفقه أو التفسير أو القراءات من ذكره والرواية عنه.

وقد ذكر صاحب كتاب الوافي بالوفيات في ترجمته أنه قال: قرأت القرآن فِي ركعة فِي البيت الحرام، وقال إسماعيل بن عبد الملك: كَانَ سعيد بن جبير يؤمّنا فِي شهر رمضان فيقرأ ليلةً بقراءة ابن مسعود وليلةً بقراءة غيره، هكذا أبداً، وسأله رجل أن يكتب لَهُ تفسير القرآن فغضب وقال: لأنْ يسقط شقّي أحبّ إليّ من ذَلِكَ، وإذا كَانَ كلٌّ من التابعين قد تميّز بعلم من العلوم الشرعية أو بباب من أبواب الفقه فإن أجمَعَهم لذلك كلّه سعيدُ بنُ جبير.

ومن يطالع في أمّات التفاسير يجد ألقا مبرّزا لهذه الشخصية المعطاء، ويكاد يجزم أنها جميعها قد نهلت من معينه الذي لا ينضب، ومن هذه التفاسير تفسير الكشاف للزمخشريّ الذي ذكر سعيد بن جبير أكثر من خمسين مرة في مواضع متفرقة راويًا عنه قراءاته القرآنية وآراءه التفسيرية وأحاديثه التي يرويها عمن سبقه والأحكام المتعلقة ببعض المسائل الشرعية، وسيحاول البحث تفصيل ما تقدّم ذكره مُعزّزا بالآيات القرآنية مُستشهِدا بما نقله الزمخشريّ في تفسيره من أقوال سعيد بن جبير.

التمهيد:

مرويّات سعيد بن جبير في كتب التفسير:

ذكر بعض الباحثين أن أول «كتاب ظهر في التفسير كان لسعيد بن جبير، وكان أعلم التابعين بالتفسير، نص على ذلك قتادة، وحكاه السيوطي في (الإتقان)»[1]،

(١) مجمع البيان (المقدمة): ١/ ٢٤.

لذلك لا تكاد تجد مفسرا قديما ولا حديثا من الخاصة أو العامة لم يستشهد بأقوال سعيد بن جبير بل تجد أنه مصدر مهم من مصادرهم يستقون منه ما يسعفهم في تفسير الكلمات والآيات القرآنية، ولا أجانب الحقيقة إذا قلت إن اسم سعيد بن جبير قد ورد في كتب تفسير القرآن أكثر من عشرة آلاف مرة، ذاكرين عنه ما يتعلق بالآيات القرآنية وتفسيرها وقراءاتها وعددا من الأحكام المتعلقة بها.

وسيورد الباحث أمثلة لذكر سعيد بن جبير في عدد من أهم تلك التفاسير، ومنها ما ورد في تفسير التبيان للطوسي في تفسير قوله تعالى: ﴿ قَالُواْ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا لَوْنُهَاۚ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَآءُ فَاقِعٌ لَّوْنُهَا تَسُرُّ ٱلنَّٰظِرِينَ ﴾ [سورة البقرة: ٦٩] إذ نقل عن سعيد بن جبير قوله: «إنها بقرة صفراء القرن والظلف»[٢].

وكذلك ما ورد في تفسير الطبري قوله تعالى: ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [سورة الحمد: ١] إذ أورد الطبري أن معنى العالمين عند سعيد بن جبير هو الجن والإنس[٣].

ومنه ما ورد في مجمع البيان للطبرسي في تفسير قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّآ أَضَآءَتْ مَا حَوْلَهُۥ ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ ﴾ [سورة البقرة: ١٧] إذ ذكر عن سعيد بن جبير أن «الآية نزلت في اليهود و انتظارهم خروج النبيﷺ و إيمانهم به واستفتاحهم به على مشركي العرب فلما خرج كفروا به و ذلك أن قريظة و النضير و بني قينقاع قدموا من الشام إلى يثرب حين انقطعت النبوة من بني إسرائيل و أفضت إلى العرب فدخلوا المدينة يشهدون لمحمدﷺ»[٤].

وكذلك ما ورد في تفسير المحرر الوجيز قوله تعالى: ﴿ لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَىٰهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُۗ وَمَا تُنفِقُواْ مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنفُسِكُمْۚ وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ ٱللَّهِۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴾ [سورة البقرة: ٢٧٢]،

(٢) التبيان: ١/ ٢٩٤.

(٣) ينظر: تفسير الطبري: ١/ ١٤٤.

(٤) مجمع البيان: ١/ ١٠٨.

إذ أورد عن سعيد بن جبير أن سبب نزول الآية هو أن «المسلمين كانوا يتصدقون على فقراء أهل الذمة فلما كثر فقراء المسلمين قال رسول الله ﷺ: «لا تتصدقوا إلا على أهل دينكم»، فنزلت هذه الآية مبيحة للصدقة على من ليس من دين الإسلام»[٥].

وكذلك ما ورد في تفسير الرازي قوله تعالى: ﴿ لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَاۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ [سورة البقرة: ٢٥٦] إذ إن المفسرين في معنى الطاغوت على خمسة آراء، منها أنه بمعنى الكاهن على رأي سعيد بن جبير[٦].

ومنه ما ورد في تفسير القرطبي قوله تعالى: ﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلۡأَسۡمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمۡ عَلَى ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِي بِأَسۡمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴾ [سورة البقرة: ٣١]، إذ ذكر عن سعيد بن جبير: إنما سمي «آدم لأنه خلق من أديم الأرض وإنما سمي إنسانا لأنه نسي»[٧].

وكذلك ما أورده ابن كثير في تفسير قوله تعالى: ﴿ لَتَرۡكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٖ ﴾ [سورة الانشقاق: ١٩]، إذ نقل عن ابن جبير قوله: «قوم كانوا في الدنيا خسيس أمرهم، فارتفعوا في الآخرة، وآخرون كانوا أشرافا في الدنيا، فاتضعوا في الآخرة»[٨].

ومنه ما ورد في تفسير البحر المحيط في تفسير قوله تعالى: ﴿ وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلۡغُرُورِ ﴾ [سورة آل عمران: ١٨٥]، إذ ذكر عن ابن جبير قوله: «إنما هذا لمن آثرها على الآخرة، فأمّا من طلب الآخرة بها فإنها متاعٌ بلاغٍ»[٩].

وكذلك ما ورد في تفسير روح المعاني للآلوسي في تفسير قوله تعالى: ﴿ لِلۡفُقَرَآءِ ٱلَّذِينَ أُحۡصِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا يَسۡتَطِيعُونَ ضَرۡبٗا فِي ٱلۡأَرۡضِ يَحۡسَبُهُمُ ٱلۡجَاهِلُ

(٥) المحرر الوجيز: ١/ ٣٤٠.
(٦) ينظر: تفسير الرازي: ٣/ ٤٥٥.
(٧) تفسير القرطبي: ١/ ٣٢٠.
(٨) تفسير ابن كثير: ٨/ ٣٦١.
(٩) البحر المحيط: ٣/ ٤٨٦.

أَغْنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَٰهُمْ لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًا ۗ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴾ [سورة البقرة: ٢٧٣]، فنقل عن ابن جبير قوله: «هم قوم أصابتهم الجراحات في سبيل الله تعالى فصاروا زمنى فجعل لهم في أموال المسلمين حقاً»[١٠].

ومن التفاسير الحديثة ما ورد في تفسير صاحب الميزان قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ عَٰهَدتَّ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِى كُلِّ مَرَّةٍ وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ ﴾ [سورة الأنفال: ٥٦]، إذ قال: روي عن سعيد بن جبير أن «الآية نزلت في ستة رهط من اليهود منهم ابن تابوت»[١١].

وكذلك ما ورد في تفسير الأمثل في تفسير قوله تعالى: ﴿ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ ۖ وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّا نَصَٰرَىٰ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٨٢﴾ وَإِذَا سَمِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا۟ مِنَ ٱلْحَقِّ ۖ يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨٣﴾ وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَمَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَن يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ [سورة المائدة: ٨٢-٨٤]، إذ ذكر عددا من الآراء في سبب نزول هذه الآيات منها ما روي عن سعيد بن جبير في سبب نزول الآية «أنّ النجاشي أرسل ثلاثين شخصاً من أخلص أتباعه إلى المدينة لإظهار حبّه لرسول الله ﷺ وللإسلام، أُولئك هم الذين استمعوا إلى آيات سورة «يس» فأسلموا، فنزلت الآيات المذكورة تقديراً لأُولئك المؤمنين»[١٢].

المبحث الأول:

الرواية عن سعيد بن جبير في تفسير مفردة قرآنية أو آية، أو ذكر سبب نزولها:

تتعدد الآراء التفسيرية في تفسير الكشاف باختلاف المفسرين واختلاف مشاربهم، ويحاول الزمخشري أن يحيط بأغلب ما ذكروه في تفسير لفظة أو عبارة قرآنيتين، وممن روى عنهم الزمخشريُّ

(١٠) روح المعاني: ٣/ ٤٦.
(١١) الميزان: ٩/ ٦٩.
(١٢) تفسير الأمثل: ٤/ ١٢٧.

سعيدُ بن جبير؛ إذ استشهد بعدد من الروايات المروية عنه في بيان معنى كلمة أو عبارة قرآنية أو سبب نزول الآية.

ومن ذلك ما ورد في تفسير قوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُصَوِّرُكُمْ فِى ٱلْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَآءُ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ [سورة آل عمران: ٦]، إذ ذكر الزمخشري عن سعيد ابن جبير قوله: «هذا حجاج على من زعم أنّ عيسى كان رباً، كأنه نبه بكونه مصوراً في الرحم، على أنه عبد كغيره، وكان يخفى عليه ما لا يخفى على الله»[١٣].

ومنه أيضا ما ورد في تفسير قوله تعالى: ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ ﴾[سورة آل عمران: ١٤]، فقد ذكر الزمخشري عددا من آراء المفسرين في معنى القنطار منها أنه المال الكثير، و قيل: ملء مسك ثور، ثم ذكر رأي سعيد بن جبير وهو أن القنطار مائة ألف دينار، ولقد جاء الإسلام يوم جاء وبمكة مائة رجل قد قنطروا[١٤].

وفي تفسير قوله تعالى: ﴿ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴾ [سورة آل عمران: ١٨٥]، نقل الزمخشري عن سعيد بن جبير قوله: «إنما هذا لمن آثرها على الآخرة، فأما من طلب الآخرة بها فإنها متاع بلاغ، خوطب المؤمنون بذلك ليوطّنوا أنفسهم على احتمال ما سيلقون من الأذى والشدائد والصبر عليها، حتى إذا لقوها لقوها وهم مستعدون لايرهقهم ما يرهق من يصيبه الشدة بغتة فينكرها وتشمئز منها نفسه»[١٥].

وحين فسر الزمخشري قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا حَضَرَ ٱلْقِسْمَةَ أُو۟لُوا۟ ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينُ فَٱرْزُقُوهُم مِّنْهُ وَقُولُوا۟ لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴾ [سورة النساء: ٨]، ذكر أنه قيل: هو على الوجوب. وقيل: هو منسوخ بآيات الميراث كالوصية، ثم روى عن سعيد بن جبير قوله: إن ناساً يقولون

(١٣) الكشاف: ١/ ٤١٢.

(١٤) ينظر: الكشاف: ١/ ٤١٦.

(١٥) الكشاف: ١/ ٤٨٦.

نسخت، ووالله ما نسخت، ولكنها مما تهاونت به الناس[١٦].

ولما جاء إلى تفسير معنى (الكلالة) في قوله تعالى: ﴿ وَإِن كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَٰلَةً أَوِ ٱمْرَأَةٌ وَلَهُۥٓ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ فَلِكُلِّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا ٱلسُّدُسُ ۚ فَإِن كَانُوٓاْ أَكْثَرَ مِن ذَٰلِكَ فَهُمْ شُرَكَآءُ فِى ٱلثُّلُثِ ۚ مِنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصَىٰ بِهَآ أَوْ دَيْنٍ غَيْرَ مُضَآرٍّ ۚ وَصِيَّةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ ﴾ [سورة النساء: ١٢]، قال: «فإن قلت: ما الكلالة؟. قلت: ينطلق على ثلاثة على من لم يخلف ولداً ولا والداً، وعلى من ليس بولد ولا والد من المخلفين، وعلى القرابة من غير جهة الولد والوالد... وعن عطاء والضحاك: أنّ الكلالة هو الموروث. وعن سعيد بن جبير: هو الوارث، وقد أجمعوا على أنّ المراد أولاد الأم. وتدل عليه قراءة أبيّ: «وله أخ أو أخت من الأم». وقراءة سعد بن أبي وقاص: «وله أخ أو أخت من أم». وقيل: إنما استدل على أن الكلالة هاهنا الإخوة للأم خاصة بما ذكر في آخر السورة من أنّ للأختين الثلثين وأنّ للإخوة كل المال، فعلم هاهنا لما جعل للواحد السدس، وللاثنين الثلث، ولم يزادوا على الثلث شيئاً أنه يعني بهم الإخوة للأم، وإلا فالكلالة عامة لمن عدا الولد والوالد من سائر الإخوة الأخياف والأعيان وأولاد العلات وغيرهم»[١٧].

وفي تفسير قوله تعالى: ﴿ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلطُّوفَانَ وَٱلْجَرَادَ وَٱلْقُمَّلَ وَٱلضَّفَادِعَ وَٱلدَّمَ ءَايَٰتٍ مُّفَصَّلَٰتٍ فَٱسْتَكْبَرُواْ وَكَانُواْ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴾[سورة الأعراف: ١٣٣]، ذكر عددا من الآراء في معنى (القمّل) قائلا: «فسلَّط الله عليهم القمل وهو الحمنان في قول أبي عبيدة كبار القردان. وقيل: الدبا، وهو أولاد الجراد. وقيل نبات أجنحتها. وقيل: البراغيث. وعن سعيد بن جبير: السوس، فأكل ما أبقاه الجراد، ولحس الأرض، وكان يدخل بين ثوب أحدهم وبين جلده فيمصُّه، وكان يأكل أحدهم طعاماً فيمتلئ قملاً، وكان يخرج أحدهم عشرة أجربة إلى الرحى

(١٦) ينظر: الكشاف: ١/ ٥٠٣.

(١٧) الكشاف: ١/ ٥١٠.

فلا يرد منها إلا يسيراً»[١٨].

وحين فسر قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَسۡبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾ [سورة الأنفال: ٦٤]، ذكر عن «سعيد بن جبير: أنه أسلم مع النبي ﷺ ثلاثة وثلاثون رجلاً وست نسوة ثم أسلم عمر، فنزلت»[١٩].

وقد ذكر الزمخشري عددا من الآراء في معنى (أولياء الله) الواردة في قوله تعالى: ﴿ أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴾ [سورة يونس: ٦٢]، ذاكرا عن سعيد ابن جبير أنّ رسول الله ﷺ سُئل: من أولياء الله؟. فقال: «هم الذين يذكر الله برؤيتهم» يعني السمت والهيئة[٢٠].

وفي تفسير قوله تعالى: ﴿ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى ٱلۡكِبَرِ إِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَۚ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴾ [سورة إبراهيم: ٣٩]، ذكر الزمخشري أنه روي أنّ إسماعيل ولد له وهو ابن تسع وتسعين سنة، وولد له إسحاق وهو ابن مائة وثنتي عشرة سنة، وقد روي أنه ولد له إسماعيل لأربع وستين. وإسحاق لتسعين. وعن سعيد بن جبير: لم يولد لإبراهيم إلا بعد مائة وسبع عشرة سنة، وإنما ذكر حال الكبر لأنّ المنة بهبة الولد فيها أعظم، من حيث أنها حال وقوع اليأس من الولادة. والظفر بالحاجة على عقب اليأس من أجلّ النعم وأحلاها في نفس الظافر، ولأنّ الولادة في تلك السنّ العالية كانت آية لإبراهيم ﴿إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴾ كان قد دعا ربه وسأله الولد، فقال: رب هب لي من الصالحين، فشكر لله ما أكرمه به من إجابته فإن قلت: الله تعالى يسمع كل دعاء، أجابه أو لم يجبه[٢١].

وفي معنى (الصغيرة والكبيرة) الواردتين في قوله تعالى: ﴿ وَوُضِعَ ٱلۡكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلۡمُجۡرِمِينَ مُشۡفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيۡلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلۡكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحۡصَىٰهَاۚ وَوَجَدُواْ مَا عَمِلُواْ حَاضِرٗاۗ وَلَا يَظۡلِمُ رَبُّكَ أَحَدٗا ﴾ [سورة

(١٨) الكشاف: ٢/ ١٠٧.
(١٩) الكشاف: ٢/ ١٦٧.
(٢٠) ينظر: الكشاف: ٢/ ٢٤٣.
(٢١) ينظر: الكشاف: ٢/ ٣٨١.

الكهف: ٤٩] قال الزمخشري: «{صَغِيرَةً وَلاَ كَبِيرَةً} هنة صغيرة ولا كبيرة، وهي عبارة عن الإحاطة، يعني: لا يترك شيئاً من المعاصي إلاّ أحصاه، أي: أحصاها كلها كما تقول: ما أعطاني قليلاً ولا كثيراً؛ لأن الأشياء إمّا صغار وإمّا كبار. ويجوز أن يريد: وإمّا كان عندهم صغائر وكبائر. وقيل: لم يجتنبوا الكبائر فكتبت عليهم الصغائر وهي المناقشة. وعن ابن عباس: الصغيرة التبسم، والكبيرة القهقهة. وعن سعيد بن جبير: الصغيرة المسيس، والكبيرة الزنا»[٢٢].

وفي بيان كيفية القتل في قوله تعالى: ﴿ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا لَقِيَا غُلَٰمًا فَقَتَلَهُۥ قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةًۢ بِغَيْرِ نَفْسٍ لَّقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا نُّكْرًا ﴾ [سورة الكهف: ٧٤]، قال: {فَقَتَلَهُ} قيل: كان قتله فتل عنقه، وقيل: ضرب برأسه الحائط، وعن سعيد بن جبير: أضجعه ثم ذبحه بالسكين.

وحين فسر قوله تعالى: ﴿ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴾ [سورة لقمان: ٣٣]، نقل عن سعيد بن جبير رضي الله عنه أن الغرّة بالله: أن يتمادى الرجل في المعصية ويتمنى على الله المغفرة[٢٣].

وفي تفسير قوله تعالى: ﴿ وَيَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِۦ ۚ وَٱلْكَٰفِرُونَ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ﴾ [سورة الشورى: ٢٦]، قال الزمخشري: «{وَيَسْتَجِيبُ الذين ءامَنُواْ} أي يستجيب لهم، فحذف اللام كما حذف في قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا كَالُوهُمْ ﴾ [سورة المطففين: ٣] أي يثيبهم على طاعتهم ويزيدهم على الثواب تفضلاً، أو إذا دعوه استجاب دعاءهم وأعطاهم ما طلبوا وزادهم على مطلوبهم. وقيل: الاستجابة: فعلهم، أي يستجيبون له بالطاعة إذا دعاهم إليها {وَيَزِيدُهُمْ} هو {مِن فَضْلِهِ} على ثوابهم. وعن سعيد بن جبير: هذا من فعلهم: يجيبونه إذا دعاهم»[٢٤].

ولما وصل الى قوله تعالى ﴿ وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓا۟ أَنصِتُوا۟ ۖ فَلَمَّا قُضِىَ وَلَّوْا۟ إِلَىٰ

(٢٢) الكشاف: ٢/ ٤٨٧.

(٢٣) ينظر: الكشاف: ٣/ ٢٣٨.

(٢٤) الكشاف: ٣/ ٤٦٩.

﴿ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ ﴾ [سورة الأحقاف: ٢٩] نقل عن سعيد بن جبير رضي الله عنه قوله: «ما قرأ رسول الله ﷺ على الجن ولا رآهم وإنما كان يتلو في صلاته فمروا به فوقفوا مستمعين وهو لا يشعر فأنبأه الله باستماعهم»[٢٥].

وفي معنى الرزق الوارد في قوله تعالى: ﴿ وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ﴾ [سورة الذاريات: ٢٢]، ذكر الزمخشري عددا من الآراء منها أنه المطر؛ لأنه سبب الأقوات، وعن سعيد بن جبير: هو الثلج وكل عين دائمة منه، وعن الحسن: أنه كان إذا رأى السحاب قال لأصحابه: فيه والله رزقكم، ولكنكم تحرمونه لخطاياكم {وَمَا تُوعَدُونَ} الجنة: هي على ظهر السماء السابعة تحت العرش. أو أراد: أن ما ترزقونه في الدنيا وما توعدون به في العقبى كله مقدّر مكتوب في السماء[٢٦].

وفي معنى (صالح المؤمنين) الواردة في قوله تعالى: ﴿ إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا ۖ وَإِن تَظَٰهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوْلَىٰهُ وَجِبْرِيلُ وَصَٰلِحُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَعْدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ ﴾ [سورة التحريم: ٤]، قال: «{وصالح ٱلْمُؤْمِنِينَ} ومن صلح من المؤمنين، يعني: كل من آمن وعمل صالحاً. وعن سعيد بن جبير: من برئ منهم من النفاق. وقيل: الأنبياء وقيل: الصحابة. وقيل: الخلفاء منهم»[٢٧].

وفي تفسير قوله تعالى: ﴿ بَلْ يُرِيدُ ٱلْإِنسَٰنُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُۥ ﴾ [سورة القيامة: ٥] ذكر الزمخشري أن معنى {لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ} ليدوم على فجوره فيما بين يديه من الأوقات وفيما يستقبله من الزمان لا ينزع عنه، ثم نقل عن سعيد بن جبير رضي الله عنه: يقدم الذنب ويؤخر التوبة. يقول: سوف أتوب، سوف أتوب: حتى يأتيه الموت على شرّ أحواله وأسوأ أعماله[٢٨].

وفي بيان معنى (أسيرا) الوارد في قوله تعالى: ﴿ وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴾ [سورة الإنسان: ٨] ذكر الزمخشري عن قتادة: كان أسيرهم يومئذ المشرك، وأخوك المسلم

(٢٥) الكشاف: ٣/ ٥٢٧.
(٢٦) ينظر: الكشاف: ٤/ ١٧.
(٢٧) الكشاف: ٤/ ١٢٧.
(٢٨) ينظر: الكشاف: ٤/ ١٩٠.

أحق أن تطعمه. وعن «سعيد بن جبير وعطاء: هو الأسير من أهل القبلة، وعن أبي سعيد الخدري: هو المملوك والمسجون. وسمى رسول الله ﷺ الغريم أسيراً، فقال "غريمك أسيرك فأحسن إلى أسيرك"»[٢٩].

المبحث الثاني:

القراءات القرآنية المنسوبة إلى

سعيد بن جبير:

لم تخلُ أغلب التفاسير من ذكر القراءات القرآنية لألفاظ القرآن ونسبتها إلى قرّائها والتعليق عليها وبيان المعاني التي تؤديها، وتفسير الزمخشري ليس بدعا من التفاسير التي سبقته، فقد ذُكر فيه كثير من القراءات القرآنية، ومنها القراءات المنسوبة إلى سعيد ابن جبير؛ إذ أورد الزمخشري عددا منها، مبيّنا المعنى الذي تؤديه.

ومن ذلك ما ورد في تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ﴾[سورة آل عمران: ٨١]، إذ ذكر الزمخشري أن سعيد بن جبير قرأ "«لمّا» بالتشديد، بمعنى حين آتيتكم بعض الكتاب والحكمة. ثم جاءكم رسول مصدق له وجب عليكم الإيمان به ونصرته. وقيل: أصله لمن ما، فاستثقلوا اجتماع ثلاث ميمات وهي الميمان والنون المنقلبة ميما بإدغامها في الميم، فحذفوا إحداها فصارت لما. ومعناه: لمن أجل ما آتيتكم لتؤمنن به"[٣٠].

ومنه أيضا قراءة قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ فَٱدْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [سورة الأعراف: ١٩٤] إذ قرأ سعيد بن جبير "«إنْ الذين تدعون من دون الله عباداً أمثالكم» بتخفيف إن ونصب عباداً وأمثالكم، والمعنى: ما الذين تدعون من دون الله عباداً أمثالكم، على إعمال «إن» النافية عمل «ما» الحجازية"[٣١].

وكذلك في تفسير قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ ٱلْحِسَابُ﴾[سورة إبراهيم: ٤١]

(٢٩) الكشاف: ٤/ ١٩٦.

(٣٠) الكشاف: ١/ ٤٤١.

(٣١) الكشاف: ٢/ ١٣٨.

ذكر الزمخشري أن سعيد بن جبير قرأ: «ولوالِدِي»، على الإفراد، يعني أباه، وقرأ الحسن بن علي رضي الله عنه ما: «ولولدَيَّ» يعني إسماعيل وإسحاق. وقرئ: «لوُلْدي» بضم الواو[٣٢].

ومنه أيضا قراءة سعيد بن جبير قوله تعالى: ﴿ يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ أُفِكَ ﴾[سورة الذاريات: ٩] قرأه «يؤفِك عنه» من أفك»، على البناء للفاعل. أي: من أفك الناس عنه وهم قريش، وذلك أنّ الحيّ كانوا يبعثون الرجل ذا العقل والرأي ليسأل عن رسول الله ﷺ، فيقولون له: احذره، فيرجع فيخبرهم[٣٣].

وذكر الزمخشري أن سعيد بن جبير قرأ قوله تعالى: ﴿ بَلْ يُرِيدُ كُلُّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ أَن يُؤْتَىٰ صُحُفًا مُّنَشَّرَةً ﴾[سورة المدثر: ٥٢] قرأه «صحفا مُنشَرة» بتخفيفهما، على أن أنشرَ الصحفَ ونشّرَها: واحد، كأنزله ونزّله[٣٤].

وقرأ قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الْإِنسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ ﴾ [سورة الانفطار: ٦] «ما أغرّك» إما على التعجب، وإما على الاستفهام؛ من قولك: غرّ الرجل فهو غارّ: إذا غفل، من قولك: بيتهم العدوّ وهم غارّون. وأغرّه غيره: جعله غاراً[٣٥].

وفي تفسير قوله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ ﴾ [سورة الأعراف: ٤٠] ذكر الزمخشري عددا من القراءات للفظة (الجمل) الواردة في الآية منها قراءة "ابن عباس: «الجُمَّل»، بوزن القمّل. وسعيد بن جبير: «الجمل» بوزن النغر. وقرئ: «الجُمْل» بوزن القفل. «والجُمُل» بوزن النصب. «والجَمْل». بوزن الحبل. ومعناها القلس الغليظ لأنه حبال جمعت وجعلت جملة واحدة، وعن ابن عباس رضي الله عنه: إنّ الله أحسن تشبيهاً من أن يشبّه بالجَمَل، يعني أن الحبل مناسب للخيط الذي يسلك في سمّ الإبرة، والبعير لا يناسبه؛ إلاّ أن

(٣٢) ينظر: الكشاف: ٢/ ٣٨٢.
(٣٣) ينظر: الكشاف: ٤/ ١٤.
(٣٤) ينظر: الكشاف: ٤/ ١٨٨.
(٣٥) ينظر: الكشاف: ٤/ ٢٢٨.

قراءة العامّة أوقعُ لأنّ سم الإبرة مثلٌ في ضيق المسلك. يقال: أضيقُ من خرت الإبرة. وقالوا للدليل الماهر: خِرِّيت، للاهتداء به في المضايق المشبهة بأخرات الإبر. والجمل: مثل في عظم الجرم"[٣٦].

وذكر الزمخشري أن سعيد بن جبير قرأ قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا تَسْعَىٰ ﴾ [سورة طه: ١٥] قرأه «أَخْفيهَا» بالفتح، من خفاه إذا أظهره، أي: قرب إظهارها كقوله تعالى: ﴿ ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ ﴾[سورة القمر: ١] وقد جاء في بعض اللغات: أخفاه بمعنى خفاه. وبه فُسّر بيت امرئ القيس:

فَإِنْ تَدْفِنُوا الدَّاءَ لاَنْخفِهِ
وَإِنْ تَبْعَثُوا الحَرْبَ لا نَقْعُدِ

فأكاد أخفيها محتمل للمعنيين[٣٧].

المبحث الثالث:

الأحاديث والروايات والآراء الفقهية المنسوبة إلى سعيد بن جبير:

ليس بالضرورة أن يكون كلُّما يروى في الكشاف عن سعيد بن جبير متعلقا بتفسير كلمات القرآن وآياته، فقد يروى عنه أحكام شرعية أو أحاديث أو غيرها، ومن ذلك ما ورد في تفسير قوله تعالى: ﴿ وَلِلْمُطَلَّقَٰتِ مَتَٰعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ ۖ حَقًّا عَلَى ٱلْمُتَّقِينَ ﴾[سورة البقرة: ٢٤١] فقد ذكر الزمخشري عن سعيد بن جبير وأبي العالية والزهري أن المتعة واجبة لكل مطلقة. وقيل قد تناولت التمتيع الواجب والمستحب جميعاً. وقيل: المراد بالمتاع نفقة العدة[٣٨].

وفي تفسير قوله تعالى: ﴿ وَٱبْتَلُوا۟ ٱلْيَتَٰمَىٰ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغُوا۟ ٱلنِّكَاحَ فَإِنْ ءَانَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْدًا فَٱدْفَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ أَمْوَٰلَهُمْ ۖ وَلَا تَأْكُلُوهَآ إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَن يَكْبَرُوا۟ ۚ وَمَن كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ ۖ وَمَن كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَٰلَهُمْ فَأَشْهِدُوا۟ عَلَيْهِمْ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا ﴾ [سورة النساء: ٦] نقل الزمخشري عددا من الآراء في حكم أموال اليتامى وهل يجوز التصرف بها والأخذ منها أو لا، ونقل عن سعيد بن جبير قوله: إن شاء شرب فضل اللبن وركب الظهر ولبس

(٣٦) الكشاف: ٢/ ٧٨.
(٣٧) ينظر: الكشاف: ٢/ ٥٣٢.
(٣٨) ينظر: الكشاف: ١/ ٣٧٧.

ما يستره من الثياب وأخذ القوت ولا يجاوزه فإن أيسر قضاه، وإن أعسر فهو في حلّ[٣٩].

وفي تفسير قوله تعالى: ﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنْذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللَّهِ آلِهَةً أُخْرَىٰ قُلْ لَا أَشْهَدُ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ وَإِنَّنِي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ﴾[سورة الأنعام: ١٩] قال الزمخشري: «وأراد: أي شهيد {أَكْبَرُ شهادة} فوضع شيئاً مقام شهيد ليبالغ في التعميم {قُلِ الله شَهِيدٌ بِيْنِى وَبَيْنَكُمْ} يحتمل أن يكون تمام الجواب عند قوله: {قُلِ الله} بمعنى الله أكبر شهادة، ثم ابتدئ {شَهِيدٌ بِيْنِى وَبَيْنَكُمْ} أي هو شهيد بيني وبينكم، وأن يكون {الله شَهِيدٌ بِيْنِى وَبَيْنَكُمْ} هو الجواب، لدلالته على أنّ الله عزّ وجلّ إذا كان هو الشهيد بينه وبينهم، فأكبر شيء شهادة شهيد له {وَمَن بَلَغَ} عطف على ضمير المخاطبين من أهل مكة. أي: لأنذركم به وأنذر كل من بلغه القرآن من العرب والعجم. وقيل: من الثقلين. وقيل: من بلغه إلى يوم القيامة. وعن سعيد بن جبير: من بلغه القرآن فكأنما رأى محمداً ﷺ»[٤٠].

وحين فسر الزمخشري قوله تعالى: ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالدَّمَ آيَاتٍ مُفَصَّلَاتٍ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُجْرِمِينَ﴾[سورة الأعراف: ١٣٣] نقل عن سعيد بن جبير «أنه كان إلى جنبهم كثيب أعفر، فضربه موسى بعصاه فصار قملاً، فأخذت في أبشارهم وأشعارهم وأشفار عيونهم وحواجبهم، ولزم جلودهم كأنه الجدري، فصاحوا وصرخوا وفزعوا إلى موسى فرفع عنهم، فقالوا: قد تحققنا الآن أنك ساحر، وعزة فرعون لا نصدقك أبداً، فأرسل الله عليهم بعد شهر الضفادع، فدخلت بيوتهم وامتلأت منها آنيتهم وأطعمتهم، ولا يكشف أحد شيئاً من ثوب ولا طعام ولا شراب إلاّ وجد فيه الضفادع، وكان الرجل إذا أراد أن يتكلم وثبت الضفدع إلى فيه، وكانت تمتلئ منها مضاجعهم فلا يقدرون على الرقاد، وكانت تقذف

(٣٩) ينظر: الكشاف: ١/ ٥٠٢.

(٤٠) الكشاف: ٢/ ١٠.

بأنفسها في القدور وهي تغلي، وفي التنانير وهي تفور، فشكوا إلى موسى وقالوا: ارحمنا هذه المرة، فما بقي إلاّ أن نتوب التوبة النصوح ولا نعود، فأخذ عليهم العهود ودعا فكشف الله عنهم، ثم نقضوا العهد، فأرسل الله عليهم الدم فصارت مياههم دماً، فشكوا إلى فرعون فقال: إنه سحركم فكان يجمع بين القبطي والإسرائيلي على إناء واحد فيكون ما يلي الإسرائيلي ماء وما يلي القبطي دماً، ويستقيان من ماء واحد فيخرج للقبطي الدم وللإسرائيلي الماء حتى إن المرأة القبطية تقول لجارتها الإسرائيلية اجعلي الماء في فيك ثم مجيه في فيَّ فيصير الماء في فيها دماً. وعطش فرعون حتى أشفى على الهلاك، فكان يمصّ الأشجار الرطبة، فإذا مضغها صار ماؤها الطيب ملحاً أجاجاً»[٤١].

وفي تفسير قوله تعالى: ﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُۥ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْلَمُونَ ﴾ [سورة التوبة: ٦]

روى الزمخشري عن سعيد ابن جبير: جاء رجل من المشركين إلى عليّ عليه السلام فقال: إن أراد الرجل منا أن يأتي محمداً بعد انقضاء هذا الأجل يسمع كلام الله، أو يأتيه لحاجة قتل؟. قال: لا، لأنّ الله تعالى يقول: {وَإِنْ أَحَدٌ مّنَ المشركين استجارك} الآية[٤٢].

ولما فسر الزمخشري قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْعَٰمِلِينَ عَلَيْهَا وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَٱلْغَٰرِمِينَ وَفِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ ۖ فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾[سورة التوبة: ٦٠] روى عن سعيد بن جبير رضي الله عنه قوله: لو نظرت إلى أهل بيت من المسلمين فقراء متعففين فجبرتهم بها كان أحبّ إليّ[٤٣].

وفي تفسير قوله تعالى: ﴿ إِذْ تَمْشِىٓ أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَن يَكْفُلُهُۥ ۖ فَرَجَعْنَٰكَ إِلَىٰٓ أُمِّكَ كَىْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ ۚ وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَٰكَ مِنَ ٱلْغَمِّ وَفَتَنَّٰكَ فُتُونًا ۚ فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِىٓ أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ

(٤١) الكشاف: ٢/ ١٠٨.

(٤٢) ينظر: الكشاف: ٢/ ١٧٥.

(٤٣) ينظر: الكشاف: ٢/ ١٩٧.

﴿قَدَرٍ يَٰمُوسَىٰ﴾ [سورة طه: ٤٠] ذكر الزمخشري أن سعيد بن جبير سأل ابن عباس رضي الله عنه، فقال: خلصناك من محنة بعد محنة: ولد في عام كان يقتل فيه الولدان، فهذه فتنة يا ابن جبير. وألقته أمّه في البحر. وهمّ فرعون بقتله. وقتل قبطياً وأجر نفسه عشر سنين. وضلّ الطريق وتفرّقت غنمه في ليلة مظلمة، وكان يقول عند كل واحدة: فهذه فتنة يا ابن جبير[٤٤].

وذكر الزمخشري اختلاف المفسرين الأوائل في الآية القرآنية ﴿وَإِذَا بَلَغَ ٱلْأَطْفَٰلُ مِنكُمُ ٱلْحُلُمَ فَلْيَسْتَـْٔذِنُوا۟ كَمَا ٱسْتَـْٔذَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [سورة النور: ٥٩] فذكر عن ابن مسعود: عليكم أن تستأذنوا على آبائكم وأمهاتكم وأخواتكم. وعن الشعبي: ليست منسوخة، فقيل له: إن الناس لا يعملون بها، فقال: الله المستعان. وعن سعيد بن جبير قوله: يقولون هي منسوخة لا والله ما هي منسوخة ولكن الناس تهاونوا بها[٤٥].

وفي بيان سبب خلق السموات والأرض في ستة أيام في قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۛ ٱلرَّحْمَٰنُ فَسْـَٔلْ بِهِۦ خَبِيرًا﴾ [سورة الفرقان: ٥٩] روى الزمخشري عن سعيد بن جبير رضي الله عنه ما قوله: إنما خلقها في ستة أيام وهو يقدر على أن يخلقها في لحظة، تعليماً لخلقه الرفق والتثبت[٤٦].

وفي تفسير قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَٰجًا ۚ وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِۦ ۚ وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ وَلَا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِۦٓ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [سورة فاطر: ١١] نقل صاحب الكشاف عن سعيد بن جبير رضي الله عنه قوله: يكتب في الصحيفة عمره كذا وكذا سنة، ثم يكتب في أسفل ذلك: ذهب يوم، ذهب يومان، حتى يأتي على آخره[٤٧].

(٤٤) ينظر: الكشاف: ٢/ ٥٣٧.

(٤٥) ينظر: الكشاف: ٣/ ٧٥.

(٤٦) ينظر: الكشاف: ٣/ ٩٨.

(٤٧) ينظر: الكشاف: ٣/ ٣٠٣.

وفي بيان معنى (القاسطون) في قوله تعالى: ﴿ وَأَمَّا ٱلْقَـٰسِطُونَ فَكَانُوا۟ لِجَهَنَّمَ حَطَبًا ﴾[سورة الجن: ١٥] قال الزمخشري «{القاسطون} الكافرون الجائرون عن طريق الحق. وعن سعيد بن جبير رضي الله عنه: أنّ الحجاج قال له حين أراد قتله: ما تقول فيّ؟. قال: قاسط عادل، فقال القوم: ما أحسن ما قال، حسبوا أنه يصفه بالقسط والعدل؛ فقال الحجاج: يا جهلة، إنه سماني ظالماً مشركاً، وتلا لهم قوله تعالى: ﴿ وَأَمَّا ٱلْقَـٰسِطُونَ ﴾ وقوله تعالى: ﴿ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴾ [سورة الأنعام: ١]»[٤٨].

وفي تفسير قوله تعالى: ﴿ أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴾[سورة الغاشية: ١٧] روى الزمخشري عن سعيد بن جبير قال: لقيت شريحاً القاضي فقلت: أين تريد؟. قال: أريد الكناسة: قلت: وما تصنع بها؟. قال: أنظر إلى الإبل كيف خلقت[٤٩].

وفي تفسير قوله تعالى: ﴿ مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ ﴿٤﴾ ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ﴾ [سورة الناس: ٤ -٥] قال صاحب الكشاف «و {الخناس} الذي عادته أن يخنس، منسوب إلى الخنوس وهو التأخر كالعواج والبتات، لما روي عن سعيد بن جبير: إذا ذكر الإنسان ربه خنس الشيطان وولى، فإذا غفل وسوس إليه»[٥٠].

وقد ذكر الزمخشري اختلاف العلماء في صيد المحرم في قوله تعالى: ﴿ أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ ٱلْبَحْرِ وَطَعَامُهُۥ مَتَـٰعًا لَّكُمْ وَلِلسَّيَّارَةِ ۖ وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ ٱلْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرُمًا ۗ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴾ [سورة المائدة: ٩٦] قائلا: «واختلف فيه فمنهم من حرّم على المحرم كل شيء يقع عليه اسم الصيد، وهو قول عمر وابن عباس، وعن أبي هريرة وعطاء ومجاهد وسعيد بن جبير: أنهم أجازوا للمحرم أكل ما صاده الحلال، وإن صاده لأجله، إذا لم يدل ولم يشر، وكذلك ما ذبحه قبل إحرامه وهو

(٤٨) الكشاف: ٤/ ١٦٩.
(٤٩) ينظر: الكشاف: ٤/ ٢٤٧.
(٥٠) الكشاف: ٤/ ٣٠٣.

مذهب أبي حنيفة وأصحابه رحمهم الله، وعند مالك والشافعي وأحمد رحمهم الله: لا يباح له ما صيد لأجله»[٥١].

خاتمة البحث:

درس الباحث تفسير الكشاف واستقصى الروايات التي نقلها المفسر عن سعيد بن جبير مصنفا إياها باحثا فيها، ولعل أهم ما توصل إليه البحث ما يأتي:

١. لم تخلُ أغلب التفاسير من الرجوع إلى أقوال سعيد بن جبير والنهل من معينه، فقد تردد اسم التابعي سعيد بن جبير في كتب التفسير أكثر من عشرة آلاف مرة.

٢. تتعدد الآراء التفسيرية في تفسير الكشاف باختلاف المفسرين واختلاف مشاربهم، ويحاول الزمخشري أن يحيط بأغلب ما ذكروه في تفسير لفظة أو عبارة قرآنيتين، وممن روى عنهم الزمخشري سعيد بن جبير؛ إذ استشهد بعدد من الروايات المروية عنه في بيان معنى كلمة أو عبارة قرآنية أو سبب نزول الآية.

٣. لم يقتصر الزمخشري في تفسيره من روايات سعيد بن جبير على الروايات التفسيرية، وإنما تعداها إلى غيرها فذكر روايات غير تفسيرية.

٤. لم تخلُ أغلب التفاسير من ذكر القراءات القرآنية لألفاظ القرآن ونسبتها إلى قرّائها والتعليق عليها وبيان المعاني التي تؤديها، وتفسير الزمخشري ليس بدعا من التفاسير التي سبقته، فقد ذُكر فيه كثير من القراءات القرآنية، ومنها القراءات المنسوبة إلى سعيد ابن جبير؛ إذ أورد عددا منها، مبيّنا المعنى الذي تؤديه.

٥. أغلب ما رواه الزمخشري عن سعيد بن جبير روايات مرسلة خالية من السند، ولا نعلم مدى صحة نسبتها إليه، لذا هي بها حاجة إلى التحقيق وإثبات نسبتها إليه من عدمها.

(٥١) الكشاف: ١/ ٦٤٦.